المقدمة

«من سير الأنبياء – دروس وعبر للنساء» بحث مقدم للبنات والأمهات فى ثلاثة أبواب، تسبح فيه القارئة فى بحار التوبة، التى سبح فيها الرسل والأنبياء.

تتعرفين من خلالها على سنة آدم ونوح وإبراهيم ويونس وموسى وداود وسليمان – عليهم السلام – فى التوبة، ومنهجهم فى التوبة، وقبل أن تبحرى فى بحار التوبة تتوقفين لتلقى نظرة من بعيد على قصة كل نبي؛ لكى تستطيعى أن تبحرى بسلام، وتعرفى كم من الأمواج ستقابلينها فى كل بحر، وارتفاع هذه الأمواج والمجهود المطلوب لتخطيها بأمان.

واستعدى لمواجهة خمس موجات عالية فى بحر آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهى: موجة الإحساس بالذنب والعلم به، وراءها مباشرة موجة الاعتراف بالذنب، وما إن تنتهى منها وتسبحى فى التفكير فترة قصيرة، إلى أن تجىء موجة أخرى، تأتى من بعيد؛ لتستعدى لها، ولتتخذى كل ما تستطيعين من قوة وصبر وحكمة، وهى موجة اتخاذ الشيطان عدوًّا، تليها موجة بيضاء ناصعة مضيئة، وهى هداية الله، ووراءها موجة تحتاج إلى ثبات وقوة، وهى العزم وعدم النسيان. وبعدها تصلين إلى شاطئ التوبة بعد عناء شديد ومشوار طويل، أعانك عليه الرغبة الأكيدة للوصول إلى شاطئ التوبة بسلام، والحصول على مغفرة الله عز وجل. ثم تسيرين سيرًا خفيفًا، وتأخذين نفسا عميقًا، وتستعدين لنزول بحر نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.. ربما تذكرتى السفينة ونجاة ركابها المؤمنين، فتمنيت أن تجدى سفينة فى هذا البحر؛ لتخفف عنك عناء الإبحار، ولكن للجنة أصحابها وسعداؤها، وقد حفت بالمكاره، فلنتحمل معًا.

قلت: ربما تنفعنى الوساطة للوصول للشاطئ بسرعة، ولكن هذه موجة فى بداية الطريق عليها لا وساطة فى الدين، فتخطيها بنفسك وتوكلى على الله، وبعدها موجة للتوجه لله بالدعاء وطلب العفو والمغفرة، وربما نزلت البحر قبل أن تعرفى طبيعته وطبيعة من يدخله، ومن سقط قبل أن يصل للشاطئ، فتأتى عليك موجة الاستعاذة بالله من الجهل؛ لتعوضى ما فاتك من تقصير فى العلم والمعرفة.. لقد اقتربت من الوصول، فجاءت عليك موجة شديدة؛

لتعلمك أن الإحساس بالخسارة والندم على المعصية لابد أن تتذوقيه قبل أن تمشى على شاطئ التوبة بسلام.

وعندما تمشين على الأرض بقدمين ثابتتين، وتنسين التعب والمشقة فى الإبحار، ستطمعين فى الغوص فى بحر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أبى الأنبياء.. انظرى من بعيد وستجدين أربع موجات قادمة من بعيد، فتقفزى بجرأة شديدة، وتسرعى الإبحار، فتجدى أولها الطمع فى المغفرة، فكم طمعتى فى الدنيا وما فيها، وما وجدتى غير الغرور والخسران.

الآن اختلف الطمع.. إنه طمع مضىء واسع لا يزول، إنه ليس بيتًا، إنه قصر تجرى من تحته الأنهار، ولكن موجة عظيمة وراءها؛ تأتى لتعظم ما ارتكبتى من أخطاء، فستقتنعين بها وتجتازينها بسلام فى فترة وجيزة، وتأخذين نفسك وتهدئين، فتجىء الموجة الثالثة تحرضك على الاجتماع مع أهلك للتوبة، ثم وقبل أن تصلى للشاطئ، فإن موجة التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة تأتى كبيرة جدًّا؛ فالأعمال الصالحة لا تحصى ولا تعد، منها الظاهر ومنها الباطن، منها البسيط ومنها الكبير، منها الصعب ومنها اليسير، والله المستعان فلتأت ما تستطيعين قبل، وقبل ... وقبل.

الحمد لله وصلت للشاطئ، فسوف تحاولين وتجتهدين أن تكون البحار الثلاثة التى خضتينها فى قلبك وعقلك ونفسك، وأن تظهر على عملك وقولك وفكرك؛ وإلا ما فائدة الخوض فى البحار وتعب الأفكار!

وبعد الاقتناع والإحساس بعدم القدرة عن الامتناع، ستعطين القرار، وتخوضين بحارًا جديدة، فاستعدى لتنزلى بحر يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وفيه ثلاث موجات: الأولى قريبة جدًّا وأوشكت على الوصول منك؛ وهى الغضب كسبب من أسباب الوقوع فى الذنب، كأنها تعرف أنك سريعة الغضب لنفسك، وأنك لم تتدربى على الغضب لله، كما كان يفعل محمد ﷺ، الذى لم يغضب لنفسه قط، ثم تأتى بعدها موجة عدم الصبر كسبب من أسباب الوقوع فى الذنب.

حقيقة حاولتى التدرب على خوض هذه الموجة قبل النزول فى هذا البحر، ولكن ربما تتخطينها بسلام، يكون عونًا على التدرب على الفضيلة، وأنت تحمدين الله وتشكرينه وتدعينه، ستجدين الموجة التى تختص بالدعاء لله لتقبل التوبة، وبهذا يزداد إيمانك بالله، وتتوجهين بالدعاء سرًّا وعلنًا، وبعدها تصلين إلى الشاطئ بسلام.

ويأتى دورك للخوض فى بحر يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، فتنظرى من بعيد، فتجدى موجات الإحساس والاعتراف بظلم النفس، وسرعة التوبة والإنابة إلى الله، والإحساس بالمسئولية تجاه الآخرين، وأن هناك حدودًا لعلم الناس بالله تعالى، فتقررى بعد ذلك القفز بسرعة؛ حتى لا يضيع الوقت ويظلم الليل، فلا تستطيعى النزول.

وقبل أن تجف الملابس وقبل الراحة من عناء الإبحار، تقررين أن هذه البحار لابد وأن تستكملينها جميعًا، فاطلبى الله أن يعطيك العمر والصحة والقدرة على استكمال رحلة التوبة إليه، فستجدين بحرًا فيه موجة واحدة، يبدو أن موجات الهوى قد تجمعت فى موجة واحدة قوية، ولكنها تنقسم إلى تسع موجات متجمعة متماسكة، وهى: عدم العدل، وعدم الاستقامة، وتزيين العمل، والطبع على القلوب، وعدم ذكر الله، والظلم، والضلال، والاستكبار، والجهل.. إنها أصعب كثيرًا من الموجات الكثيرة والأقل قوة ، فتجمع الصغير يصبح كبيرًا يصعب مواجهته. والذى يصبرك عليه هو أنه لم يتبق من البحور سوى بحر واحد، وهو بحر سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفيه ثلاث موجات، ربما أصبحت أقل خطورة، وربما أمكن تخطيهن بسهولة، وهن: الحذر من حب الدنيا، وطلب الدنيا والآخرة، وذكر الله غفران للذنوب.

الحمد لله وصلت إلى الشاطئ الأخير، فهل لك من راحة وزاد للتخفيف من عناء السفر!

ربما سمعت عن أنظمة الحمية التى يتبعها أصحاب الوزن الزائد، أو اللاتى يرغبن فى الصحة والجمال، ونظام حميتنا يتطلب تخفيف الذنب والأخطاء عن الإنسان بقدر المستطاع، وكما يتطلب نظام الحمية الغذائية زيادة فى المجهود لحرق المزيد من الدهون، فإن نظامنا يتطلب مزيدًا من المجهود النفسى والبدنى والعقلى والروحى؛ للوصول إلى توبة خالصة نصوح لله تعالى. وهو لا يسمح بنظام «اليويو» لإنقاص الوزن، وهو الزيادة والنقصان والزيادة والنقصان مرات عديدة، ولكننا نتغير بالعزم والإصرار على عدم الرجوع لارتكاب الذنوب، ولكى نتبع هذا النظام لابد أن ندرس الباب الثانى، الذى يصنف لنا الذنوب ثلاثة تصنيفات، ويفند أكثر من ثمانين ذنبًا، والباب الثالث الذى يتخصص فى التوبة تتعرفين من خلاله على التوبة: لماذا هى، وثمرتها، ووقتها، ثم مراحلها وشروطها، ولا يتركك الكتاب قبل أن يضع لك برنامجًا مفصلًا للتوبة من سنة رسولنا وخاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ، وعلى الله قصد السبيل.

أهمية الكتاب:

تتضح أهمية الكتاب من خلال ثلاثة محاور:

المحور الأول: يتعلق بالموضوع.

المحور الثانى: يتعلق بالفئة الموجه إليها الكتاب.

المحور الثالث: يتعلق بالظروف الحياتية المعاصرة.

تبدو أهمية الكتاب فيما يتعلق بالموضوع - وهو التوبة من الذنوب والخطايا - فى اتساع وعمق التناول، من خلال دراسة سنن الأنبياء فى توبتهم إلى الله تعالى، وربطها بواقع البنات والأمهات، ومشكلات أكثر إلحاحًا فى ظروف حياتية مختلفة. وهى محاولة للتعمق فى أمور الدين، وفى فهم ما وراء الآيات القرآنية، والاستفادة منها فى حياتنا، وتصحيح مسارها.

وفيما يتعلق بالفئة الموجهة إليها الكتاب - وهى البنات فى مرحلة المراهقة والأمهات - فإن مرحلة المراهقة مرحلة انتقالية وطويلة، وتتميز بالنمو العقلى والمعرفى، الذى يسمح بالفهم والتدبر، وإمكانية الاستفادة من المنهج المستخدم فى الكتاب. كما تتميز بالنمو الانفعالى وتغيره بشدة عن مرحلة الطفولة، حيث تزداد استخدامًا لمفردات الحب والحبيب والصديقة والصديق، وهى علاقات ربما يستخدمها البنات بشكل خاطئ، وخاصة من يفتقرن منهن للعلم والدين والثقافة، وتبرز اهتمامات للمراهقات لم تكن واضحة من قبل، وخاصة فى الزينة وأصناف الترفيه وقضاء الوقت، واستخدامات التكنولوجيا مثل الهاتف المحمول والحاسبات الآلية، ويحاول الكتاب تقريب سنن الأنبياء لهذا الواقع وهذه الخصائص، التى تتميز بها المراهقات عن غيرهن.

أما الأمهات فإن الكتاب يهتم بإعطائهن العديد من المواقف والمشكلات والحلول المتواضعة، التى يمكن أن تساعدهن فى تصحيح مسارهن، سواء مع أنفسهن أو مع بناتهن، خاصة أن الأمهات أصبحن يواجهن مشكلات، نابعة من قصور علمهن فى الدين والدنيا، وتأثر بناتهن بفئات أخرى، مثل الصديقات والإنترنت والتلفزيون والمدرسة والتعليم ومناهج التعليم والمدرسين، وغيرهم.

وهو ما أدى إلى توسيع مشكلاتهن مع بناتهن وصعوبة حلها، وربما عدم محاولة حلها على الإطلاق؛ لتعسرها ولشيوعها؛ مما يجعل الأمهات يفضلن عدم الخوض فى أساليب الحل.

أما ما يتعلق بأهمية الكتاب النابعة من المشكلات الحياتية المعاصرة، فإن جميع مناحى الحياة قد تغيرت بسرعة وبشدة عما كانت تعيش فيه الأمهات فيما سبق، فقد تغيرت العلاقات الاجتماعية، فضاقت فى محيط الأسرة والأقارب، واتسعت فى محيط العالم الخارجى من خلال الإنترنت، وأصبحت أكثر سطحية وأكثر سعة وأقل ارتباطًا وأسرع تفككًا. وقلت إمكانية البنات على الإنتاج والاعتماد على النفس، وفى الإطار السياسى زادت التوترات السياسية النابعة من السيطرة على السلطة، وتدهور الأحوال الاقتصادية التابعة لذلك، وانتشار المفاهيم المغلوطة التى تقلب الموازين رأسًا على عقب.. فالجهاد إرهاب، والعفة تخلف، والزنا حرية وحقوق، والحجاب تخلف ومستفز، وفى التعليم انتشر الغش وعدم إخلاص المعلمين، وتهافتهم على تجميع الأموال من الطلاب بطرق مختلفة، وحرمان الطالب من حقه فى الفهم والتعليم الصحيح داخل إطار المدارس أو المعاهد والكليات، والتقليص من مناهج الدين، وتغيير كثير من المفاهيم أو إخفائها؛ لتحقيق أهداف غير سوية، وفى الجانب الإعلامى والثقافى ازداد استخدام وسائل الإعلام لنشر الرذائل والعرى والفاحشة، وتعمد تقليص دور الدين والمتدينين فى نشر الفضائل من خلال وسائل الإعلام.

ولا يخفى على أحد أن التلفزيون أصبح من أكثر المؤثرات على تربية النشء والأطفال، وعلى علاقة الأفراد داخل الأسرة، وعلاقة الشباب ببعضهم خارجها.

ومن هنا، فإن هذا الكتاب يقدم أكثر من ثمانين ذنبًا يمكن أن تقع فيه البنات أو الأمهات، والتى أثرت فيهن كل الظروف السابقة الذكر، ويقدم حلولًا أو سبلًا لتجنبها، وتعلم كيفية التوبة منها وعدم الوقوع فيها، وذلك بالاعتماد الأساسى على القرآن الكريم وسنة محمد ﷺ - خاتم الرسل والأنبياء.

أهداف الكتاب:

- إلقاء الضوء على سنن بعض الأنبياء فى التوبة ومنهجهم وطريقة توبتهم، بما يسمح بالاقتداء بهم.
- ربط مناهج الأنبياء فى التوبة بمواقف حياتية، يستفيد منها البنات والأمهات فى طريق التوبة.
- التعرف على تصنيفات الذنوب؛ بما يسمح بسرد العديد من الذنوب داخل هذه التصنيفات.

- إعطاء العديد من التطبيقات على الذنوب من حياة البنات أو الأمهات وأساليب معالجتها.
- الوقوف على التوبة؛ من حيث فائدتها وثمرتها ووقتها ومراحلها وشروطها، بما يسمح بتوسعة مدارك البنات والأمهات حولها كفريضة واجبة عليهن.
- تعميم برنامج يومي لتجديد توبة البنات والأمهات؛ اتباعًا لسنة الرسول محمد ﷺ.

❊❊❊